تأصيل العمارة الإسلامية

عاش الانسان فترة من حياته في الكهوف حيث أجبرته ظروف الحياة البيئية والمناخية على البقاء بداخله حقب زمنية طويلة، ومن أهمها كيف شانيدر وزرزي وبيخال ، ومن ثم خرج من الكهف وحاول النزول إلى السهول والوديان بحثاً عن تغيير جديد في حياته الذي يتخذ بالدرجة الاساس على البحث عن مأوى جديد يحتمي به من الوحوش الضارية أن تفتك به ، فقد اهتدى الانسان بعد طول المكوث في العراء وتعرضه لبرد الشتاء والليالي القاسية إلى أماكن يسكنها ويقضي فيها الليالي الباردة وأيام الشتاء القارصة البرد وغزارة الامطار ولفح الريح وأشعة الشمس الحارة في أيام الصيف .

وبمعارفه البسيطة في ذلك الزمن المبكر من حياته لم يكن يعرف سوى أن يتخذ له خياماً دائرية الشكل يصنعها من جلود الحيوانات الضخمة التي كان يصطادها والتي ما زالت بقاياها تعيش في بيئته التي شهدت نواة الزراعة وتدجين الحيوانات وبالأخص شمالي وادي الرافدين وبلاد الشام ، فكانت تلك هي أكواخ أو منازل منجلي الحيوانات الأوائل في منطقة الشرق الأدنى ، كما كانت بعد ذلك بنحو الف سنة هي منازل فلاحو وادي الرافدين وجنوب غرب آسيا الأوائل .

وبعد التطور الذي حصل للإنسان غير من قدراته فقد أخذ يحفر حفراً في الأرض قد تكون في الغالب دائرية الشكل، وغالباً ما كان يبطنها بالحجارة والحصى والمتوفر من حواليه في الطبيعة ليتخلص من الرطوبة والطين والبرودة ومياه الامطار ثم يرفع في جوانب هذه الحفرة عدداً من السوف البنائية لتصبح جدرانها متماسكة من حواليه ومن ثم يحاول ان ينهي أعاليها أي اعالي الحفرة بالمواد البنائية وأغصان الاشجار و ما شابه مما يجده في بيئته .

هذه هي البدايات الأولى العمارة السكن ، فقد ظهرت بعدها الكثير من العمارات والبيوت الدائرية فأخذ يشيد القرى والمستوطنات الأولى من مادة الطين ومنها مستوطنة قرية جرمو في شمال العراق حيث تتكون هذه المستوطنة من ستة عشر طبقة أثرية أو دور سكن كان تاريخ بنائها ٦٧٥٠ ق. م ، حيث تقدم سكان هذه القرية أشواطاً بعيدة في العمارة الدائرية الشكل، وبعدها تعلموا بناء البيوت المستطيلة الشكل من مادة الطين وجعلوها قائمة على اسس من الحجارة الطبيعية وملطوا جدرانها بالطين ، والكثير من المواقع الأخرى التي ظهر بها مثل مستوطنة يارم تبة و تبة كورة .

أما بيوت تل حلف مستديرة الشكل ذات قطر كبير وهي مشيدة على هيئة خلايا النحل أسسها من الحجارة ويظن أنها كانت مسقفه بغياب معقودة ومدخل بعضها بشكل حجرة صغيرة . اما عمارة تل حسونة فقد مرت بثلاث مراحل واضحة :

الأولى : كانت عبارة عن حجرات صغيرة ذات جدران غير منتظمة مشيدة من الطين (الطوف) وكانت هذه الحجرات مشيدة ومرتبة حول فناء مفتوح .

الثانية : أصبحت الحجرات أكثر عدداً من السابق وأقرب إلى الشكل المستطيل منه إلى المربع وصارت هذه المرحلة تمهيداً لمرحلة قادمة .

الثالثة : تتميز هذه المرحلة بأن بيوتها ودورها مستطيلة الشكل أكثر منه الدائرية والمربعة .

وبعد هذا التطور الذي حصل في العمارة التي ظهرت بشكل بدائي وهي تحمل معها أولى العناصر العمارية والتخطيطية ، فقد ظهرت لدينا بعضها مثل الصحن المكشوف وبقى ملازما لجميع العناصر والابنية لأنه ضرورة عمارية ومناخية يجب أن تتحقق في أي مبنى واستمر منذ فجر العمارة القديمة والى يومنا هذا ، كما ظهرت الحجرات وبقية الاجزاء العمارية الأخرى ومن أهما الابراج والأسوار وكذلك هي الأخرى بقيت ملازمة لظهور في أغلب الابنية والعمائر مروراً بعمارة العراق القديم ووصولاً إلى العمارة الإسلامية .

ومن ثم تحول الانسان في العراق القديم من عمارة البيوت والحجرات الدائرية والمربعة والمستطيلة مع انقضاء العصر الحجري الحديث ووصولاً إلى عصور ما قبل التاريخ وبداية العصور التاريخية أن يبني مدناً دائرية وهو بهذه الخطوة المعمارية العظمى خطى خطوات واسعة في مجال البناء والعمارة.

فقد بنى مدينة الوركاء بشكل دائري غير منتظم بنهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وبعد هذا النموذج أخذ ينقذ الواحد تلو الآخر، حيث بنى مدينة اشور بشكل دائري أيضا غير منتظم الأضلاع ولكنها بشكل أجمل وأكثر رتابة من الوركاء، وبعدها نفذ الكثير من الابنية الأخرى الدائرية الشكل.

وصولا الى مدينة الحضر التي بنيت قبل الاسلام، حيث أظهر المعمار العراقي كيف أنه بارع بنقل الافكار العمرانية وتطبيقها من مكان لآخر، حيث ظهرت تلك المدينة بأنها الأقرب إلى مدينة بغداد المدورة وكذلك مدينة زبيدة اليمنية .

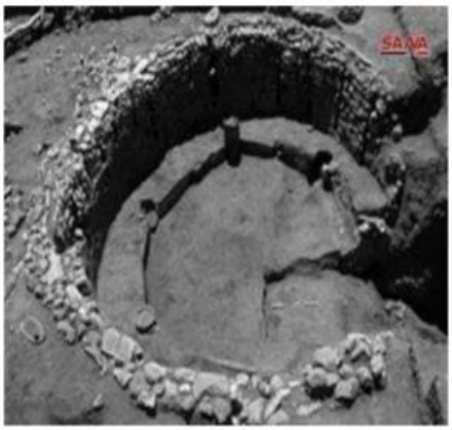

حجرة دائرية من موقع في شمال بلاد الرافدين

حجرة دائرية من تل يارم تبة

صورة لموقع كهف شانيدر في اربيل من الداخل

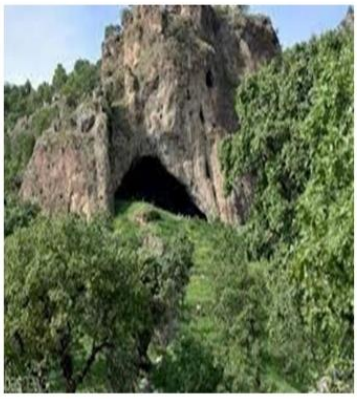

صورة لموقع كهف شانيدر في اربيل من الخارج

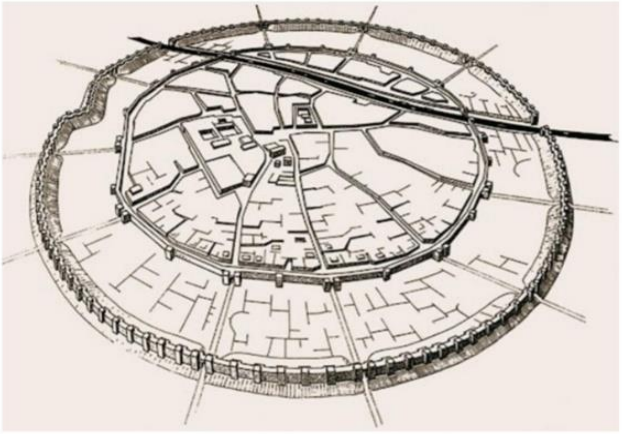

صورة لمدينة بابلية من ماري في أعالي الفرات